الزهراء

زرت "زهراء" قرطبة عام ١٤٢٥ هـ ، وأنشدت بها قصيدة "أضحى التنائي"إهداءاً لشاعر الأندلس العظيم بن زيدون، وبعد إنفعالات مجد المكان وشلالات ذكرى ذاك الزمان كانت هذه المعارضة المتواضعة:

مـــا زال ذكـــركِ يـــا زهـــراء يغرينـــا ... بالمجـــد ينشـــدُ للـــدنيا أغانينـــا

أطيافـــك البـــيض مـــا زالـــت مرابعهـــا ... خضـــراً وروضـــك خيريـــاً ونســـرينا

مـــا زلـــت أنـــتِ ومـــا زال الهـــوى صـــوراً ... مـــا بـــين عاشـــقةٍ والشـــعرِ ترويـــنا

******

يـــا لـــبن زيـــدون، شـــعرٌ منـــك يمنعنـــي ... أن أرهـــف الســـمع للأنســـام تأتينـــا

لعـــل فيهـــا وقـــد أتعبـــت راحلـــةً ... مـــن الحديـــدِ طـــوت كثبـــان يبرينـــا

بـــاقٍ مـــن الوجـــد فـــي الزهـــراء عتقـــهُ ... توشـــيحُ أنـــدلسٍ يســـلو ويُســـلينا

أو نغمـــةٌ لـــم تـــزل ســـكرى يهدهـــدها ... مـــرُّ الســـنين علـــى أطـــرافِ وادينـــا

أو أنـــه المجـــد فـــي ظـــل العـــروش ســـها ... يعـــانق العـــز يشـــتاق الســـلاطينا

أو رَوحُ غـــادٍ إلـــى المحـــرابِ يخبرنـــا ... أن المـــآذن تبكينـــا وتُبكينـــا

أو خطـــو بـــن حـــزمٍ وقـــد الهتـــه ســـارحةً ... مـــن المعـــارف أن يـــدنو ويـــدنينا

منـــازلٌ لـــم تـــزل والعلـــم صـــاحبها ... ترتـــلُ الآي تســـبيحاً وتأمينـــا

******

رســـمٌ تقـــادم أم حلـــمٌ أشـــاهدهُ ... أم انـــهُ الشـــعرُ يـــدنينا ويجفونـــا

أنّـــى اتجهـــت فأحجـــارٌ مبعثـــرةٌ ... إلا فـــؤادي يـــرى فـــي التـــربِ ماضـــينا

أتيـــتُ أســـأل عنـــك اليـــوم منزلـــةً ... مـــن العلـــوم زهـــت فـــي ظلنـــا حينـــا

وجئـــــت أبحـــــثُ عـــــن شـــــوقٍ نُـــــذكّرَهُ ... إلـــــى المعـــــالي نســـــاه اليـــــوم ناســـــينا

كنـــــا ملوكـــــاً علـــــى ذا الارض يغمرنـــــا ... نـــــور الســـــماء إلـــــى العليـــــاء يهـــــدينا

العـــــدل رايتنـــــا ، والحـــــق بغيتنـــــا ... والســـــيفُ صـــــاحبنا إن جـــــار باغينـــــا

ومـــــا ملكنـــــا ترابـــــاً إنمـــــا بشـــــراً ... العـــــدل صـــــيرهم للحـــــق ســـــاعينا

إن الكتـــــاب الـــــذي خطـــــت أناملنـــــا ... ســـــادوا بـــــه اليـــــوم مـــــن كـــــانوا موالينـــــا

الـــــدهرُ ذو دولٍ مـــــن ســـــرهُ زمـــــنٌ ... فلـــــن يـــــدوم وإن ذا بـــــات مفتونـــــا

******

يـــــا جنـــــة الله مـــــا شـــــدنا ممـــــا لكنـــــا ... إلا بعلـــــمٍ بنـــــا فينـــــا مبانينـــــا

تفنـــــى الصـــــروح ويبقـــــى الحـــــرف يخبرنـــــا ... ومـــــا طـــــوى المـــــوت لـــــن ينســـــاه راوينـــــا

الـــــدرب نعرفـــــه لكـــــن مركبنـــــا ... بـــــلا شـــــراعٍ ولا فـــــي الركـــــب حادينـــــا

كـــــأن ذا الـــــذل أضـــــحى اليـــــوم شـــــيمتنا ... والعـــــز نخشـــــاهُ زقومـــــاً وغســـــلينا

والعلـــــم نرهبـــــهُ يـــــذكي مشـــــاعلنا ... والحـــــرف نجهلـــــهُ يزكـــــو رياحينـــــا

******

مـــــا جئـــــت مـــــن هجـــــرٍ إلا لـــــرؤيتكم ... أيـــــن المـــــآذن بـــــل ايـــــن المصـــــلونا؟!

ايـــــن المرابـــــع خضـــــراً أينمـــــا اتجهـــــت ... بنـــــا العيـــــون وأيـــــن اليـــــوم نادينـــــا

جمالـــــك العـــــذب لـــــم نســـــقاهُ فـــــي ســـــحرٍ ... لكـــــي أردد كـــــم بيضـــــاً لياليـــــنا!

يـــــا صـــــاحب الـــــدار .. إن الـــــدار تعرفنـــــي ... وإن محـــــا الـــــدهر مـــــن دربـــــي العناوينـــــا

أطرقـــــتِ زهـــــراءُ؟! مـــــا كانـــــت بمطرقـــــةٌ ... لكنـــــه الحلـــــم تغريـــــه أمانينـــــا

اجيبـــــي صـــــاحبك الولهـــــان دثـــــرهُ شـــــوقٌ قـــــديمٌ رواه الصـــــبرُ تلقينـــــا

******

قالـــت- وإن لـــم تكـــن فـــي الإذن صـــرختها- وقـــد يكـــون فصـــيح القـــول تضـــمينا

أو همـــس طيـــفٍ علـــى أنفـــاس مخـــتلجٍ بـــين الضـــلوع، ودمـــع العـــين يفشـــينا

قالـــت: عرفـــت ولـــن تحتـــاج معرفـــةً أذهـــب فيكفـــي، بكـــاء العمـــرِ يكفينـــا

أجـــدادك الغـــرُ مـــا كـــانوا قـــياصرةً لكـــن هـــداةً وأبطـــالاً ميامينـــا

بـــالحق شـــادوا قصـــورَ العلـــم شـــاهقةً وصـــيَّروا الجـــدبَ فـــي ارضـــي بســـاتينا

حتـــى إذا مـــا الخـــلافُ المـــرّ فـــرقهم زالـــوا، فقـــامَ بنـــا للحَـــينِ ناعينـــا

"غـــيض العـــدى مـــن تســـاقينا الهـــوى فـــدعوا بـــأن نغـــص فقـــال الـــدهر آمينـــا"

عليـــك منـــي ســـلام الله مـــرتحلاً ولتمســـح الـــدمع لـــن تلقـــى المواســـينا

******

فعـــدت أجمـــع مـــا قالـــت لأنظمـــهُ وعـــاد حلمـــي يصـــوغ القـــول تلحينـــا

كأننـــا والزمـــان الـــمر نذرعـــهُ فـــي أبـــأس الـــخلق أدمنّـــا مراثينـــا